المخالفة من أسباب التفرق والتنافر وجعل بينكم أي بين الأزواج أما على تغليب الرجال على النساء في الخطاب أو على حذف ظرف معطوف عل بالظرف المذكور أي جعل بينكم وبينهن كما في قوله تعالى : لا نفرق بين أحد من رسله وقيل : بين أفراد الجنس أو بين الرجال والنساء وتعقب بأنه يأباه قوله تعالى : مودة ورحمة فإن المراد بهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا أي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا وترحما من غير أن يكون بينكم سابقة معرفة ولا مرابطة مصححة للتعاطف من قرابة أو رحم قيل : المودة والرحمة من ا تعالى والفرك وهو بغض أحد الزوجين الآخر من الشيطان .

وقال الحسن ومجاهد وعكرمة المودة كناية عن النكاح والرحمة كناية عن الولد وكون المودة بمعنى المحبة كناية عن النكاح أي الجماع للزومها له ظاهر وأما كون الرحمة كناية عن الولد للزومها له فلا يخلو عن بعد وقيل : مودة للشابة ورحمة للعجوز وقيل : مودة للكبير ورحمة للصغير وقيل : هما إشتباك الرحم والكل كما ترى إن في ذلك أي فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة فهو إشارة إلى جميع ما تقدم وقيل : إلى ما قبله وليس بذاك وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار إليه للأشعار ببعد منزلته لآيات عظيمة لا يكتنه كنهها كثيرة لا يقادر قدرها لقوم يتفكرون 12 في تضاعيف تلك الأفاعيل المبنية على الحكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله مع التنبيه على أن ما ذكر ليس بآية فذة بل هي مشتملة على آيات شتى وإنها تحتاج إلى تفكر كما تؤذن بذلك الفاصلة وذكر الطيبي أنه لما كان القصد من خلق الأزواج والسكون إليها وإلقاء المحبة بين الزوجين ليس مجرد قضاء الشهوة التي يشترك بها البهائم بل تكثير النسل وبقاء نوع المتفكرين الذين يؤديهم الفكر إلى المعرفة والعبادة التي ما خلقت السموات والأرض إلا لها ناسب كون المتفكرين فاصلة هنا ومن آياته خلق السموات والأرض وإختلاف ألسنتكم أي لغاتكم بأن علم سبحانه كل صنف لغته أو ألهمه جل وعلا وضعها وأقدره عليها فصار بعض يتكلم بالعربية وبعض بالفارسية وبعض بالرومية إلى غير ذلك مما ا تعالى أعلم بكميته وعن وهب أن الألسنة إثنان وسبعون لسانا في ولد حام سبعة عشر وفي ولد سام تسعة عشر وفي ولد يافث ستة وثلاثون وجوز أن يراد بالألسنة أجناس النطق وأشكاله فقد أختلف ذلك إختلافا كثيرا فلا تكاد تسمع منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه ولعل هذا أولى مما تقدم والإمام حكى الوجه الأول وقدم عليه ما هو ظاهر في أن المراد بالألسنة الأصوات والنغم ونص على أنه أصح من المحكي وألوانكم بياض الجلد وسواده وتوسط فيما بينهما أو تصوير الأعضاء وهيئاتها

وألوانها وحلاها بحيث وقع التمايز بين الأشخاص حتى أن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما والأمور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة وإن كانا في غاية التشابه فالألوان بمعنى الضروب والأنواع كما يقال : ألوان الحديث وألوان الطعام وهذا التفسير أعم من الأول وإنما نظم إختلاف الألسنة والألوان في سلك الآيات الآفاقية من خلق السموات والأرض مع كونه من الآيات الأنفسية الحقيقة بالإنتظام في سلك ما سبق من خلق أنفسهم وأزواجهم للإيذان بإستقلاله والإحتراز عن توهم كونه من متممات خلقهم إن في ذلك أي فيما ذكر من خلق السموات والأرض وإختلاف الألسنة والألوان لآيات عظيمة كثيرة للعالمين 22